

## التحرير والتنوير

وعلى تقدير أن يكون المراد ب ( الذين كفروا ) في هذه الآية نفس المراد من الأقوام السالفين فالإظهار في مقام الإضمار لزيادة تسجيل اتصافهم بالكفر حتى صار الخصلة التي يرفون بها . وعلى هذا التقدير يكون المراد من الرسل ظاهر الجمع فيكون هذا التوعد شنشنة الأمم ويكون الإيماء إليهم به سنة ا□ مع رسله .

وتأكيد توعدهم بالإخراج بلام القسم ونون التوكيد ضراوة في الشر .  
و ( أو ) لأحد الشئين أقسموا على حصول أحد الأمرين لا محالة أحدهما من فعل المقسمين والآخر من فعل من خوطب بالقسم وليست هي ( أو ) التي بمعنى ( إلى ) أو بمعنى ( إلا ) .  
والعود : الرجوع إلى شيء بعد مفارقتة . ولم يكن أحد من الرسل متبعا ملة الكفر بل كانوا منعزلين عن المشركين دون تغيير عليهم . فكان المشركون يحسبونهم موافقين لهم . وكان الرسل يتجنبون مجتمعاتهم بدون أن يشعروا بمجانبتهم فلما جاءوهم بالحق طنوهم قد انتقلوا من موافقتهم إلى مخالفتهم فطلبوا منهم أن يعودوا إلى ما كانوا يحسبونهم عليه . والظرفية في قوله ( في ملتنا ) مجازية مستعملة في التمكن من التلبس بالشيء المتروك فكأنه عاد إليه .

والملة : الدين . وقد تقدم عند قوله تعالى ( دينا فيما ملة إبراهيم حنيفا ) في آخر سورة الأنعام وانظر قوله ( فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا ) في أوائل سورة آل عمران .  
وتفريع جملة ( فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ) على قول الذين كفروا لرسلمهم ( لنخرجنكم من أرضنا ) الخ تفريع على ما يقتضيه قول الذين كفروا من العزم على إخراج الرسل من الأرض أي أوحى ا□ إلى الرسل ما يثبت به قلوبهم وهو الوعد بإهلاك الظالمين .  
وجملة ( لنهلكن الظالمين ) بيان لجملة ( أوحى... ) .

وإسكان الأرض : التمكين منها وتخويلها إياهم كقوله ( وأورثكم أرضهم وديارهم ) .  
والخطاب في ( لنسكننكم ) للرسل والذين آمنوا بهم فلا يقتضي أن يسكن الرسول بأرض عدوه بل يكفي أن يكون له السلطان عليها وأن يسكنها المؤمنون كما مكن ا□ لرسوله مكة وأرض الحجاز وأسكنها الذين آمنوا بعد فتحها .

( ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ) ( ذلك ) إشارة إلى المذكور من الإهلاك والإسكان المأخوذ من ( لنهلكن ولنسكننكم ) . عاد إليهما اسم الإشارة بالإفراد بتأويل المذكور كقوله ( ومن يفعل ذلك يلق آثاما ) .

واللام للملك أي ذلك عطاء وتمليك لمن خاف مقامي كقوله تعالى ( ذلك لمن خشي ربه ) .

والمعنى : ذلك الوعد لمن خاف مقامي أي ذلك لكم لأنكم خفتم مقامي فعدل عن ضمير الخطاب إلى ( من خاف مقامي ) لدلالة الموصول على الإيماء إلى أن الصلة علة في حصول تلك العطية . بمفعوله الفعل تعلق في للمبالغة مقحم ( مقام ) فلفظ خافني ( مقامي خاف ) ومعنى A E كقوله تعالى ( ولمن خاف مقام ربه جنتان ) لأن المقام أصله مكان القيام وأريد فيه بالقيام مطلق الوجود لأن الأشياء تعتبر قائمة فإذا قيل ( خاف مقامي ) كان فيه من المبالغة ما ليس في ( خافني ) بحيث إن الخوف يتعلق بمكان المخوف منه كما يقال : قصر في جانبي . ومنه قوله تعالى ( على ما فرطت في جنب الله ) . وكل ذلك كناية عن المضاف إليه كقول زياد الأعجم : .

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشر أي في ابن الحشر من غير نظر إلى وجود قبة . ومنه ما في الحديث ( إن الله لما خلق الرحم أخذت بساق العرش وقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ) أي هذا العائذ بك القطيعة . وخوف الله : هو خوف غضبه لأن غضب الله أمر مكروه لدى عبده .

وعطف جملة ( وخاف وعيد ) على ( خاف مقامي ) مع إعادة فعل ( خاف ) دون اكتفاء بعطف ( وعيدي ) على ( مقامي ) لأن هذه الصلة وإن كان صريحها ثناء على المخاطبين فالمراد منها التعريض بالكافرين بأنهم لا يخافون وعيد الله ولولا ذلك لكانت جملة ( خاف مقامي ) تغني عن هذه الجملة فإن المشركين لم يعبأوا بوعيد الله وحسبوه عبثاً قال تعالى ( ويستعجلونك بالعذاب ) ولذلك لم يجمع بينهما في سورة البينة ( ذلك لمن خشى ربه ) لأنه في سياق ذكر نعيم المؤمنين خاصة